



الأمن القومي اللغوي العربي في ضوء المتغيرات والتحديات المعاصرة

(مداخلة في احتفالية الذكرى 6 لتأسيس المعهد)

1 | صفحة أ.د. زاهر حني- عميد كلية الآداب، جامعة القدس المفتوحة/ رئيس وحدة الدراسات اللغوية والأدبية في المعهد العالمي للتجدید العربي

يبدو أن الرسائل لا تصل؛ ربما لأننا لا نمتلك أدوات الإرسال المناسبة، وربما لأننا لا نجد لغة الخطاب في الإرسال، أو لأسباب أخرى قد تكون كثيرة.

قرأت عشرات المقالات والأبحاث والكتب عن الأمن اللغوي العربي، ووجدتها غالباً تكرر الأفكار نفسها، فقلت: ربما يكون هذا هو السبب؛ دراسات تقليدية تعدد مميزات اللغة وتاريخها وتؤكد قدرتها على مواجهة التحديات، والاستمرار برغم جميع المعوقات، وتتوصل جُها إلى حقيقة مفادها: أن المشكلة ليست في اللغة من حيث ماهيتها وقدرتها الاستيعابية، واستعدادها للتطور بفضل مرونتها ووسائل التوسع والانفتاح التي تشكل بنيتها الصرفية والنحوية والبلاغية، وإنما تكمن مشكلتها في مستعمليها الذين يهجرونها شيئاً فشيئاً لأسباب كثيرة، ربما يكون أبرزها التحديات التكنولوجية ومعطياتها التي ما زالت العربية (أو أهلها) عاجزين عن مواكبتها.

لهذا، ذهب باحثون إلى تحديد مصادر الخطر على الأمن اللغوي العربي وحصرها في: *الدخيل الثقافي الأجنبي، *الدخيل اللغوي الأجنبي، *محاكاة المنطوق الأجنبي، *لعولمة، *الإعلام، *التقانة. وأن محفزات اللغة وأمنها تكمن في: *المحفز السياسي، *المحفز الإعلامي، *المحفز العلمي، *المحفز الاقتصادي، *المحفز الاجتماعي، *المحفز الثقافي التربوي، *محفز المأسسة والشرعنة اللغوية الموحدة، *محفز وحدانية لغة الدرس (ينظر: المزيد، 2021: ص1-24)، وهذا من الناحية النظرية صحيح، ولكنه يتطلب وعياً بآليات التغيير والتجدید؛ إذ لا يمكن أن نظل في إطار تحليل الواقع بما هو فيه، والاكتفاء بالحديث عما ينبغي فعله، دون تزويد هذا الفعل بما يرفده من مقومات وآليات وفعاليات، يدرك من خلالها كل فرد في هذه الأمة ما يقع على عاتقه من واجبات.

كما وقف كثيرون عند مظاهر غياب الأمن اللغوي العربي، وذكروا منها: *انتشار العاميات على حساب الفصحى، *الضعف العام في استعمال الفصحى، حتى في المؤسسات العامة والأكاديمية، الأمر الذي دفع كثيرين إلى القول بأن الطرق التقليدية في تدريس اللغة العربية قد يكون سبباً رئيساً في ذلك، *الزوع إلى التغريب، *الاستعداد الكبير لنقل ثقافة الآخر، *غياب الإنتاجية الثقافية أو ضعفها. ويذكرون أن من موهدمات الأمن اللغوي: *اللحن، *الازدواجية اللغوية، *الأمية، *الثنائية اللغوية، *الهجين اللغوي (ينظر: العزيز، 2023، ص57 وما بعدها).



ولست أكرر ما ذكره من أجل استعراضه، بل انطلاقاً من الفكرة الملهمة التي تدعو لها المنطلقات الفكرية للمعهد العالمي للتجدید العربي، والعمل بموجب التغيير والتجدید، ومسيرة التطور، ومعطيات الفكر الفلسفي العربي الحديث، وما يمكن أن نجعله يتجلى في اللغة العربية وآدابها وعلومها.

والتزاماً بالتفكير خارج المألوف، مما يمكنه أن يجسد التزامنا تجاه أمننا القومي، وما يتعلق منه باللغة كونها عنصراً أساسياً من مكونات الأمن القومي العربي، إلى جانب الأمن الاقتصادي، والثقافي، والفكري، والاجتماعي، والتربوي، والسياسي، وغيرها، فإنني أرى:

أولاً: ضرورة الشعور بأهمية الأمن اللغوي للأفراد والجماعات والأمة ومستقبلها؛ إذ الانتماء للأمة يبدأ من الإحساس الذاتي بأن الفرد جزء من الأمة، يصيبه ما يصيبها، سواء أكان بين ظهرانيها أم في أقاصي الأرض، ومن يشعر بأمتة وهمومها، يعمل بكل همته من أجلها، لعلمه الأكيد بأن تقدم الأمة ينعكس عليه حتماً، واللغة بهمومها ومشكلاتها تكون جزءاً من اهتمامه، ويكون حريصاً عليها. في وقت ترتكب جرائم بحق اللغة وتاريخها ومستقبلها.

ثانياً: ليس كل ما يعتقده الناس من مظاهر غياب الأمن اللغوي، أو مهددات الأمن اللغوي، صحيحاً؛ ولو ناقشنا كل مسألة بانفتاح ومسؤولية، لوجدنا أن تعداد هذه الهموم لا يتجاوز المحاولة للانعتاق من المسؤولية، أو الأخذ دون تمحيص. والواقع أن المتبصر في هذه الهموم يمكنه أن يرى عكس ما يوحى به ظاهرها؛ ولنأخذ على سبيل المثال ظاهرة انتشار العاميات على حساب الفصحى، فالعاميات موجودة في كل اللغات، وكانت وما زالت موجودة في العربية منذ بداياتها الأولى الموثقة تاريخياً، وحتى يومنا هذا، فلماذا نعدّها الآن معضلة تهدد الأمن اللغوي! العاميات تتغذى من الفصحى، والفصحى ترفدها العاميات، وما كانت العلاقة بينهما يوماً علاقة صراع، بل العلاقة بينهما تقيم حالة من التوازن والتكامل.

ثالثاً: ما يتعلق بالدخيل الثقافي واللغوي الأجنبيين، وهما مما يُعد من مظاهر الخطر على اللغة العربية، ولا أرى ذلك؛ إذ مرت اللغة العربية في عصر انتشارها وشيوعها في العالم كله، في عصر الحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي مثلاً، بعلاقة مع معظم لغات الشعوب التي دخلت الإسلام، وقد أثرت وتأثرت وتفاعلت معها، بل إن عدداً كبيراً من الألفاظ المعرّبة وردت في القرآن الكريم قبل ذلك، وهو النص العربي الأعلى والأوفى، مثل: (أب، إبريق، أرائك، أسباط، إستبرق، وأسماء الأعلام، ... وغيرها). مما يشير إلى أن اللغة يمكن أن تتفاعل مع اللغات الأخرى فتؤتي ثماراً طيبة، وليس بالضرورة أن تكون العلاقة بين اللغات علاقة صراع. وقد تكون الخطورة متحققة إذا تخلّى العربي عن لغته واستبدلها بغيرها، كما قد يكون



الدخيل الثقافي مؤثراً سلبياً، كما في القول-وهي فكرة دخيلة- بأن اللغة العربية غير صالحة لهذا الزمان لما فيها من صعوبة وتعقيد، وأنا أجزم بأن اللغة العربية أسهل اللغات على الإطلاق، يقولون بأن الفرنسية مثلاً لغة سهلة، أما أنا فأجدها معقدة صعبة، والسبب في ذلك أنني لا أجيدها، وكذلك الآخرون الذين لا يجيدون العربية، يجدونها صعبة معقدة. لهذا كله، يمكن أن يكون الدخيل الثقافي أو الدخيل اللغوي، من الأسباب التي تدفع العلماء والمفكرين إلى بيان التميز الذي يحظى به أهل العربية بما يمتلكونه من لغة قادرة على التعبير عن متطلبات الحضارة الحديثة بكل مكوناتها.

رابعاً: اللغة والتكنولوجيا، حين أعاد عبد السلام المسدي النظر في أسئلة اللغة في واقعها المتجدد، بعدما كان قد أنجز كتابه (العرب والانتحار اللغوي-عام 2011) ليعيد صياغة الأسئلة من جديد ومناقشتها واستعراض ما استجد من مبادرات ومشاريع كثيرة خلال هذه لفترة، في كتابه الجديد (الهوية العربية والأمن اللغوي-عام 2024) ليؤكد بأنّ وعياً لغوياً جديداً ينبثق وتتسارع تجلياته، وهذا بالضبط هو موضوع الكتاب الذي يعمل فيه المسدي على التشخيص المعرفي واستقراء نشأة الوعي اللغوي الجديد بمفاصله الزمنية ومضامينه الدلالية، واستشفاف ما قد ينتهي إليه من مآلات. ولذلك يرى الكاتب أنه يتصدى لخطاب المناقشة موضوعاً للاستقراء والتشريح بدلاً من اتخاذ خطاب المناقشة (المسدي، 2024، ف/1)، وهذه الفكرة هي نتاج رؤية موضوعية لعلم من أعلام اللغة وأساتذتها في الجامعات العربية، وهي رؤية تشير بوضوح إلى أن الاندغام في معطيات عصر التكنولوجيا أمر مهم للغاية، ولا يكون ذلك باستعراض أو تشخيص الواقع بما فيه من هموم، دون وضع تصورات لطول ممكنة؛ والعمل العربي الجماعي يمثل واحداً من هذه الطول، بدءاً من المؤسسات الرسمية الحكومية وشبه الحكومية، والجامعات وكل الجهات ذات الاهتمام المشترك، وربطها باستثمار التكنولوجيا في خدمة اللغة العربية، وتسهيل استيعاب التكنولوجيا للغة، واللغة للتكنولوجيا.

خامساً: المعهد العالمي والتجدد اللغوي في ظل الأمن اللغوي، دأب المعهد العالمي للتجدد العربي ممثلاً بوحدياته الفكرية، منذ تأسيسه وحتى اليوم، على مناقشة قضايا اللغة وربطها بمستجدات العصر ومتطلباته، متجاوزاً الرؤى التقليدية، واجترار الماضي، والرضى بالبقاء في ظلاله دون إبداع وتجديد، واستنهاض الطاقات الخلاقة القادرة على استثمار الفكرة الملهمة من أجل مواصلة التقدم نحو الانخراط بوعي في متطلبات التكنولوجيا الحديثة دون المساس بأهمية اللغة من حيث كونها وجهاً من وجوه الهوية العربية.



المراجع:

- 1- بلعيد، صالح: في الأمن اللغوي-2010-، الجزائر.
- 2- زهير، غازي: العربية والأمن اللغوي-2000-، العراق.
- 3- العزيز، أكرم محمد محمد: الأمن اللغوي للغة العربية، ط/1، صنعاء، 2023، بدون دار نشر، على الرابط:

<https://www.scribd.com/document/817980276>

- 4- المزيد، خالد محمود عسود: الأمن اللغوي العربي: مفهومه ومصادر وصور الخطر عليه ومحفزاته. مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، ع/1، مج/56، أكتوبر 2021، على الرابط:

https://jfab.journals.ekb.eg/article_235038.html

- 5- المسدي، عبد السلام: الهوية العربية والأمن اللغوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2024.